الهجاء السياسي في الأندلس
زمن الفتنة والطوائف

فورار امحمد بن لخضر
قسم الأدب العربي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد خيضر – بسكرة –

الهجاء باب قديم من أبواب الشعر العربي ، و قد أشار النقاد القدماء إلى رسوخ هذا الفن و ثباته في الشعر (1) . و بمعناه الأدبي هو فن من فنون القول ((يصور عاطفة الغضب و الاحتقار والاستهزاء ، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب))(2).

إن هذا التعريف للهجاء –كما سلف– يشمل الشعر والنثر ، و هو صادر عن العاطفة شأنه في ذلك شأن فنون الشعر الغنائي . و هو فن قديم في الأدب العربي ، و لكنه تطور تطورا كبيرا منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، و نفس الشيء في الأندلس ، فقد شهد تطورا في معانيه و ألفاظه و صوره ، زمن الفتنة وعهد الطوائف ، بحكم تغير الدوافع إليه وتطور الذوق العام ، إلا أن نقاد الأندلس قد سيطرت عليهم النزعة الخلقية ، والاتجاه المحافظ على النقد الأندلسي ، فنفروا من الهجاء ، و صانوا كتبهم منه ، ولم يستجيزوا روايته مما حجب عنا كثيرا مما قيل فيه ، فهذا ابن حزم يرى أنه ينبغي أن يتجنب من الشعر الهجاء (3) . وتحكمت نزعة المحافظة نفسها في نظرة ابن بسام للهجاء فهو يصرح بأنه صان كتابه الذخيرة ((عن شين الهجاء)) (4)، و لكن في نفس الوقت يؤثر الهجاء الذي يميل إلى التعريض و التلميح بدليل أنه يورد أبياتا يصفها بأنها ((من مليح التعريض)) (5)، لا ضرورة لذكرها لأنها لا تتعلق بهذا الموضوع .

وكان عبد الواحد المراكشي ممن أقصوا الهجاء من مؤلفاتهم (6) ، غير أن هذه النزعة لن تمنع من رواج شعر الهجاء ، و امتد إلى النساء فلهجن به فولادة لها أشعار بالغة البذاءة والفحش (7).كما أن العوامل التي أدت إلى ذيوعه كانت أقوى من هذه النزعة منها المجتمع الأندلسي –بتكوينه السياسي و الاجتماعي و الحضاري –كان مهيئا لتقبل الهجاء .

ورغم صيانة النقاد كتبهم من الهجاء لما فيه من إقذاع و فحش –كما سنرى–إلا أنه كان يحفظ و يدرس في جميع بلاد المغرب والأندلس (8)

ومن خلال الهجاء الأندلسي تطلعنا عدة اتجاهات لهذا الفن و فيما يلي ذكر لأهم هذه الاتجاهات ، و بعض نماذج ما قيل فيه .

لعل موضاعات الهجاء البارزة ، زمن الفتنة وعهد الطوائف ، وجود الهجاء السياسي والاجتماعي ، ولكننا سنركز على الهجاء السياسي ، اعتمادا على القصائد والمقطوعات التي عثرناعليها في المصادر التاريخية والأدبية التي اهتمت بالشعر ونثره .

ويعرف فوزي عيسى الشعر السياسي بقوله : ((الهجاء السياسي هو كل ما يتصل بشؤون الحكم وأمور السياسة وفيه يصدر الشاعر عن عصبية للوطن أو الإقليم أو القبيلة أو الحزن أو الدين)) (9) .

بهذا التعريف للهجاء واستقراء للقصائد والمقطوعات الشعرية التي تتصل بهذا الفن، يتضح لنا أنه هو أكثر الاتجاهات رواجا في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، وقد تباينت صوره إذ توزعت بين هجاء الخلفاء والحجاب والوزراء والقضاة والعناصر البشرية المكونة للمجتمع الأندلسي .

والملاحظ أن أغلب النصوص الشعرية لاتنسب إلى قائل بعينه ، وذلك لخشية الشعراء من بطش الحكام بصفة عامة .

ورغم تشدد الحكام تجاه شعراء الهجاء السياسي ، إلى أنه لم يؤد إلى تكميم افواههم أو إسكات ألسنتهم عن المجاهرة عن مساوئهم ومثالبهم ، فعبروا عن ضيقهم بهم، وكشفوا عن أوجه الفساد في سياستهم ، وتشبثهم بكرسي الحكم على حساب مصالح الرعية .

وفي القرن الخامس نجد بعض شعرائه قد هاجموا سياسة حكام الفتنة وملوك الطوائف وانتقدوا تصرفاتهم ، فكان الهجاء السياسي .كما سبق . من الموضوعات التي برزت في هذا القرن ، وكان ذلك نتيجة لعدم سلامة الوضع وترديه .

ووضع كهذا من شأنه أن يثير بعض الشعراء ، وينطقهم بما يعبر عن سخط الساخطين وتبرم المتبرمين (10) ومن ذلك قول بعضهم في الخلفاء وملوك الطوائف كما سيأتي.

هجاء الخلفاء وملوك الطوائف :

شاع هذا اللون من الهجاء في الأندلس ، زمن الفتنة ، فمن ذلك ما وجهه الشعراء من نقد للخليفة المهدي (11) الذي أظهر من الخلاعة والفسق ما حدا بالشعراء إلى هجائه (12):

أمير الناس سخنة كل عين   يبيت الليل بين مختثين
يجشم ذا ويلثم خد ذا   ويسكر كل يوم سكرتين
لقد ولوا خِلافتهم سفيها   ضعيف العقل شينا غير زين

ويشير ابن عذارى إلى أن المهدي كان أكثر خلفاء بني أمية عرضة لهجاء الشعراء وانتقادا لتصرفاته ، فيقول: ((وقيل فيه كثير من هذا يطول الكتاب به)) (13) .

ومما قيل فيه أيضا (14) :

أشأم خلق على العباد   والناس من حاضر ومن باد
أبو الوليد الذي اقشعرت   لنحسه شعرة البلاد
كان على قومه جميعا   مزار عاد لقوم عاد

ويُرى أن اختلال الأوضاع السياسية كان من أكبر العوامل التي وجهت الشعراء إلى هجاء ملوك الطوائف ، فقد غضب الشعراء لما أصاب الأندلس من ضعف وتفكك وانحلال (15) فكان لهم الشعر بالمرصاد ، ((يفضح تصرفاتهم ويكشف زيفهم وخداعهم))(16)، ومما يدل على شيوع الهجاء السياسي ، في عهد الطوائف ، أن أحدا من الحكام لم يسلم من هجاء الشعراء ، حتى بني عباد ملوك إشبيلية الذين شجعوا الشعراء والأدباء ، فقد قيل في نقدهم الشعر الكثير ، وإلى جانب الدوافع السياسية ، هناك جانب من هجاء الشعراء للحكام قيل لدوافع ذاتية ، كقول جعفر بن إبراهيم اللورقي(17) الذي ارتحل إلى اشبيلية للنيل بعطاء بني عباد ولكنه لم يظفر منهم بطائل فهجاهم ، بقوله (18) :

تَعزَّ عن الدُّنيا ومعروف أهلها   إذا عُدم المعروف في آل عباد
حَللتُ بهم ضيفا ثلاثة أشهُر   بغيرِ قِرى ثم ارتحلتُ بلا زاد

ومن هذا القبيل نجد الحصري (19) يعرض بهم عندما أرسل غلامه . لما كان مقيما في طنجة- يبغي عطاء المعتمد صاحب إشبيلية ، واسمها في بلادهم حمص فلم يجبه(20) :

نبِّه الركب الهُجُوعا ولُم الدهر الفَجُوعا
حِمْصٌ الجنة قالت لغلامي لا رُجوعا
رحم الله غلامي مات في الجنة جوعا

ويعرض ابن شرف القيرواني بالمعتضد بن عباد ، ويندد بما قيل عن بطشه بكثير من وزرائه وندمائه حتى لقد خاف أن يفد إليه لئلا يتعرض لما تعرض له غيره من مصير مؤلم ، فيقول في أسلوب لاذع (21):

أأن تصيَّدتَ غيري صيد طائرةٍ أوسعتَها الحَبَّ حتى ضمَّها القفصُ
حسبتني فرصةً أخرى ظفرتَ بها هيهات ما كلّ حين تُمْكِنُ الفُرصُ
لك الموائدُ للقُصّاد مُترعةً تُروي وتُشبِعُ لكنْ بعدها غصص
ولستُ أعجب من قوم بها انتشبوا لكنما عجبي من معشر خَلَصوا
ولم يطبْ قطُّ لي مَنٌّ يَلذُّ ولا سَلوى إذا كان في عُقباهما مَغَص

ولم يقف الشعراء في هجائهم لبني عباد عند هذا الجانب بل أكثروا من نقد سياستهم ووصفهم بالجور والطغيان ، ويبدو أن المعتضد بن عباد (22) كان أكثر تعرضا لهجاء الشعراء ، فهذ ابن زيدون يعبر عن شماتته عندما نعاه الناعي ويصفه بالطاغية ، يقول (23) :

لقد سرَّنا أن النَّعِيَّ مُوكَّل بطاغية قد حُمَّ منه حِمام
تجانبَ صوبُ المزن عن ذلك الصدى ومر عليه الغيث وهو جَهام

لكن مثل هذا الهجاء بعيد عما يعرف عن الشاعر ، فابن زيدون لايهجو إنسانا ميتا ، لأن علاقته مع المعتضد بن عباد استمرت على طيبها ، وهو يعلم أن ابنه المعتمد(24) متول الحكم بعده ، وأن منزلته ومركزه عند المعتمد قد يفوق ما كان يتمتع به من منزلة ومكانة لدي والده . قد يكون هذان البيتان من وضع حساد ابن زيدون وأعدائه ، في رأي محمد مجيد السعيد (25) .

ومما ينسب لابن رشيق القيرواني (26) في هجاء بني عباد وذلك في تهافتهم على ألقاب خلفاء بني العباس فكان منهم المعتضد والمعتمد ، قوله (27) :

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد

وتعد قصيدة الهجاء المنسوبة إلى ابن عمار (28) أطول ما وصلنا في هجاء بني عباد وأكثرها إقذاعا وإسفافا ، والذي يجعل محمد مجيد السعيد يشك في نسبتها إليه أمور كثيرة ، منها ما تقدم الحديث عن ابن زيدون ، مع حساده وأعدائه ،
ولا يستبعد صدور هذه القصيدة عنهم ونسبتها لابن عمار لأجل الإيقاع بين الملك ووزيره (29) .

ثم إن ابن بسام حين ثبت القصيدة ، قال : ((نسب شعر كثير إلى ابن عمار ، فيه قدح في المعتمد وآله وذويه وعياله (30) ، وفيها يقول (31) :

ألا حيِّ بالغرب حيا حِلالا	أناخوا جِمالا وحازوا جَمالا
وعرّج بيومين أمِّ القرى	ونمْ فعسى أن تراها خيالا
لتسأل عن ساكنيها الرماد	ولم تر للنار فيها اشتعالا
أيا فارس الخيل يا زيدَها	حميتَ الحمى وأبحت العِيالا
أراك تُورِّي بحب النساء	وقِما عهدتك تهوى الرجالا
تخيَّرتها من بنات الجهان	رُميكيَّة ما تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع	لئيم النِّجارين عما وخالا
بصُفر الوجوه كأن استَها	رماهم فجاءوا حَيارى كُسالى
قِصارُ القدود ولكنهم	أقاموا عليها قرونا طِوالا
أتذْكر أيامنا في الصبا	أنتَ إذا لُحتَ كنتَ الهلالا
أُعانقُ منكَ القضيبَ الرطيبَ	وأرشُفُ مِن فيك ماء زُلالا
وأقنعُ منك بدون الحرام	فتُقسم جهدكَ أن لا حلالا
سأكشفُ عِرضك شيئا فشيئا	وأهتكُ سِترك حالا فحالا

فالباحث يؤكد عدم صحة نسبتها لابن عمار، اعتمادا على رواية ابن بسام ، لابن عمار الذي كان له حساد ومنافسون كثيرون لايستبعد صدورها عنهم ، ويرجح أن تكون هذه الأبيات ((نظمت بتحريض من ابن عبد العزيز أمير بلنسية وعدو ابن عمار اللدود الذي هجاه قبل هذا)) (32) ، ويبني تشككه أيضا على ((أن الأفكار والمعاني التي تقوم عليها القصيدة من فحش بذيء وإقذاع مقزز ، وتشهير شنيع ، لاتسمح بنسبتها إليه ، مهما تصاعد الحقد والكراهية بينهما ، بالإضافة إلى عدم انسجامها مع أفكاره ومعانيه ، لكنه

حتى في هجائه لابن عبد العزيز (33) وهو من أشد أعدائه لم يقذع ، ولم يصل إلى ما وصل إليه في هجائه لصديقه الحميم المعتمد من إسفاف وانحطاط)) (34) .

وهناك ما يؤكد نسبة هذه القصيدة إليه ، ذلك أنه لما استقل ابن عمار بمرسية ولم يبال بعتاب المعتمد ولومه له ، واكتفى بالمراوغة (35) ، انزعج ابن عبد العزيز صاحب بلنسية من سلوك ابن عمار وتوقع منه شرا ، وحاول أن يزيد من تعميق الهوة بين الملك ووزيره ، باعتبار أن ذلك يعد أنجع طريقة للتخلص منه ، وقد تحصل ابن عبد العزيز على بعض أبيات من قصيدة قالها ابن عمار في تهديده منها (36) :

كيف التفلُّت بالخديعة من يديْ   رجلِ الحقيقة من بني عمار

فأوصلها للمعتمد وغضب على وزيره لأن ابن عبد العزيز كان صديقا له ، واكتفى بأن ذيل هذا البيت ساخرا من أصل ابن عمار الوضيع ومستهزئا من أمه ، بقوله (37):

تبكي عليهم شَنَّبوس(38) بعبْرة   كأَتِيِّها المتدافع التيار

باشمسَ (39) ذاك القصر كيف تخلصتْ   فيه إليكِ طوارق الأقدار

ولما بلغت الأبيات إلى ابن عبد العزيز سر بها ، وأرسلها لابن عمار ((ودس إلى مرسية نبيلا من الشرق ، لابس ابن عمار حتى اطمأن إليه وأحله محل الرواية لأشعاره في هجاء ابن عباد)) (40) ، في قوله يرد على هجاء المعتمد له ويهجو زوجته إعتماد .

ويقول صاحب الخريدة إن هذه القصيدة في هجاء المعتمد وذكر فيها أم بنيه ، كانت من أقوى الأسباب التي جعلت المعتمد بن عباد يقتل ابن عمار (41) .

ويؤكد إحسان عباس نسبة هذه القصيدة لابن عمار الذي عاش في هذا المجتمع الذي يخضع للمصالح والأهواء ، يقول: ((وفي هذا الجو المتقلب المتموج ، برزت شخصية الرجل القلق المغامر الذي يتجول من بلد إلى بلد عارضا مهارته على من يقدرها حق قدرها، يستوي في هذ مختلف ذوي المهارات المطلوبة من جندي وكاتب وشاعر ومعماري وصاحب أي حرفة أخري ، ولم يكن اختلاف الدين حاجزا في هذه الأمور ، فكان السيد القنبيطور يخدم المصلحة ، فتارة يحارب من أجل أمير مسلم، وتارة من أجل أمير نصراني . ولما سقطت طليطلة في يد النصاري حلق الفقيه أبو القاسم بن الخياط وسط رأسه وشد الزنار وأخذ يعمل كاتبا عند الأذفونش (42) ، وأنموذج هذه الشخصية من الجانب الإسلامي ، في مقابل القنبيطور ، شخصية الشاعر ابن عمار ، فقد نشأ فقيرا محرما، ولكنه كان مشربا

بالطموح ، إنتهازيا ، ميكيافيليا ، مستعدا لأن يركب إلى غايته كل واسطة ، مؤمنا بالصداقة بمقدار ما تبلغه أهدافه)) (43) .

ويؤكد دارس آخر لابن عمار نسبة هذه القصيدة إليه ، فيقول باحث : ((كان ابن عمار وصوليا . إذا صح التعبير . مع أخلص أصدقائه ، فقد خان المعتمد صديقه وولي نعمته ، واستغل ضعف ابن طاهر ، رغم ما بينهما من علاقات وثيقة ليوقع به ، كما لم يسلم من لسانه السليط ، أمير بلنسية عبد العزيز بن أبي عامر ، والمعتصم بن صمادح(44)الذي تربطه بالشاعر أوثق الصلات ، غضب عليه واستنكر أعماله)) (45)

ويؤكد فوزي سعد عيسى هذه النسبة للشاعر ، بقوله : ((تبدو نسبة هذه القصيدة إليه أمرا طبيعيا ، وحتى وإن كانت هذه القصيدة محل شك . وهو ما لا نميل إليه)) (46) .

يستشف . مما تقدم . أن القصيدة لابن عمار ولامجال لاستبعادها عنه كما يؤكد محمد مجيد السعد .

ومن الطريف أن الحكام أنفسهم يشاركون في الهجاء ، فثمة رواية تقول : إن مجاهدا العامري كتب إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فأحرجت المنصور وأقامته وأقعدته ، ورد عليه برقعة جاء فيها :

شمتتْ مواليها عبيدُ نزار شِيم العبيد شتيمة الأحرار (47)

وهو بيت يلمح لعبودية مجاهد ، فهو مولى لبني عامر ، وهجاؤه بأحد منهم إنما تطاول العبيد على ساداتهم .

ولعل أجمل ألوان الهجاء هو ما يتجاوز فيه الشاعر رغباته ومصالحه الذاتية إلى أحاسيس الناس عامة ، فيصور مشاعر الغضب والسخط التي تختلج في نفوسهم إزاء حاكم خائن أو ملك ظالم مستبد ، وكلما مال الشاعر إلى التعمية والتعميم كان هجاؤه أوقع وأقرب إلى الخلود ، فمن ذلك هذه الأبيات لأحد الشعراء ينحي فيها باللائمة على أولئك

الحكـــام الذين عميت أبصارهم ، وافتقدوا الحزم في تدبير أمورهم ، وتصاغروا أمام أعدائهم، وقد نظمها صاحبها بعد خراب قرطبة ، وفيها يقول (48):

أضعتم الحزم في تدبير أموركمُ ستعلمون معا عُقبى البوار غدا
فلو رأيتم بعين الفكر حالكم بكيتم بدم إن دمتمُ بددا
لكن سُبْل العمى أعمت بصائركم فألبستْكم ثيابا للبلى جُدُدا
يا أمة هتكت مستور سوءنها ما كل من ذل أعطى بالصَّغار يدا
في سورة الحشر آيات مفصلة في شأنكم أنزلت لم تعدكم أحدا
نعم وفي الكهف عشرين خاتمة تقضي عليكم بأن لا تُفلَحوا أبدا
فاستشعروا سوء عُقباكم فقد شملت جميعَكم محنة لا تنقضي أبدا

ويعد الشاعر السميسر (49) أحد الشعراء الذين يمثلون هذا الاتجاه تمثيلا صادقا، وهو من أبرز شعراء الهجاء في الأندلس عامة ، قال عنه ابن بسام : ((كان باقعة عصره، وأعجوبة دهره ، له طبع حسن، وتصرف مستحن في مقطوعات الأبيات ، وخاصة إذا هجا وقدح ..وله مذهب أستفرغ فيه مجهود شعره ، من القدْح في أهل عصره)) (50) ، ووصفه المقري بأنه ((كان كثير الهجاء ، وله كتاب سماه شفاء الأمراض في أخذ الأعراض)) . (51)

وما يلاحظ في هجاء السميسر ، أنه ليس ذاتيا يستهدف تحقيق منفعة خاصة ، ولكنه هجاء ((تعميمي المنزع يدل على قلق وعدم ارتياح لبعض ما يراه من أوضاع))(52)، فهو يوجه هجاءه لملوك الطوائف جميعا فيقول (53) :

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتمُ
أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم
وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم
لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتم

هؤلاء الملوك خانوا دينهم وأمانتهم ومواثيقهم ، فأسلموا الإسلام في يد النصارى، وهم يدفعون لهم الجزية عن صغار ، ولو أدى بهم الأمر إلى شق عصا الطاعة للدين الإسلامي ونبيه ، ويتخذ السميسر من ذلك ذريعة للقيام عليهم دون مظنة عصيان لله ورسوله وأولي الأمر ، لأنهم ليسوا من أولي الأمر الذين في عصيانهم عقاب أو مأثمة ، بل إن

القيام عليهم حكمة الوجوب ، شقا لعصا طاعتهم ، وقد شقوا من قبل عصا طاعة الله ورسوله .

وفي أبيات أخرى نجد السميسر يتهم أولئك الملوك بالخيانة والهوان ، ويشير إلى ضعف مكانتهم ، واهتزاز صورهم وترديها في أعين كل الناس ، وينزلهم منزلة قوم عاد ، فيقول (54) :

خنتم فهنتم وكم أهنتم زما كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كل تحتٍ وأنتم دون كل دونْ
سكتمُ يارياح عادٍ وكلٌ ريح إلى سكون

ولايزال السميسر في مواجهة جديدة لهؤلاء الملوك تبرئ ذمته وذمة الأمة من مغبة ما ينتظرهم وينتظر أمة ضيعوها ، فيقول (55) :

رجوناكم فما انصفتمونا وأملناكمُ فخذلتمونا
سنصبر والزمان له انقلاب وأنتم بالإشارة تفهمونا

ولكي يقطع السميسر على ملوك الطوائف كل سبل الشفقة من قبل ضعفاء الرعية، فتأخذهم بهم شفقة ، نراه يفيقهم ، فيقول (56) :

يامُشفقا من خُمول قوم ليس لهم عندنا خلاق
ذُلوا وقد طالما أذلُّوا دَعهم يذوقوا الذي أذاقوا

ففي البيتين هجاء سام يكشف للضعفاء من الرعية حقيقة ملوك الطوائف أمام مجموع الناس ، ومنهم الشاعر ، ممن فقهوا فلسفة الثواب والعقاب ، حيث لا خلاق لهم عند عامة الأمة ، وهذه الصيغة التنكيرية لكلمة خلاق ، تشير إلى استلاب كل حظ ونصيب من الأخلاق والشهامة والعفاف ، ويعمقه إحساسه بموقف ملوك الطوائف إذلالا وخسة وخيانة.

وما يستخلص من هجاء السميسر أنه غيور على وطنه الأندلسي ، فهو ((يصدر في هجائه عن دافع وطني أصيل ، ويتعدى هجاؤه النظرة الذاتية أو الإقليمية ، إلى وجهات أعم وأشمل)) (57).

وقال السميسر في هجاء الأمير عبد الله ابن بلقين (58) صاحب غرناطة لما رآه مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها عند نزول كارثة (59):

يبني على نفسه سَفاها كأنه دودة الحرير

ولما أكثر من هذا الهجاء المؤلم توعده الأمير عبد الله بسفك دمه ، فر إلى المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وأجاره إلى أن استولى المرابطون عليها (60).

لقد لفت السميسر بمقطوعاته الهجائية اللاذعة أنظار بعض الباحثين فرأى أحدهم أنه يعد أكثر شعراء ملوك الطوائف جرأة وجسارة ، وأنه عبر بحق عن ضمير الأمة ، وكان صوته الغاضب هو صوت ضمير الشعب)) (61).

ويوضح الطاهر مكي موقف الشاعر الرافض ، بقوله : ((وله من زمنه موقف رافض حين رأى اختلال القيم ، وزهوة الباطل ، وغلبة الصغار ، وعجزه عن التغير ، فأدار ظهره لكل مما حوله ، وجاء شعره رافضا بكل ما تعنيه الكلمة في عصرنا الحديث ، سخر مما يعظم الناس ، وهجا من يمدحون ، واحتقر من يكبرون ، وجاء هجوه لهم مفحشا ، ونقده قاسيا ، فأهمله المؤرخون خوفا ممن هجاهم ... كان داعية ثورة حين استطاب الناس المتع واللذة ، وخلدوا إلى الدعة والراحة وآثروا الأمن والسلامة)) (62).

وإلى جانب هجاء السميسر لملوك الطوائف ، هناك شعراء آخرون شاركوه ثورته على هؤلاء الملوك المتخاذلين ، فانطلقوا يتوعدون ويلوحون بتخاذلهم وخيانتهم للمسلمين ولاسيما بعد سقوط طليطلة بسبب مصانعة أولئك الملوك للنصارى واتفاقهم فيما بينهم على التخاذل وإيثار العقود ، وتواطئهم على خطة مشينة عجلت بسقوط طليطلة ، عاصمة القوط قبل الفتح ، وإلى ذلك يشير أحد الشعراء ، بقوله (63) :

وقيل تجمعوا لفراق شمل طليطلة تملَّكها الكَفورُ
فقل في خُطة فيها صَغار يشيب لكَربها الطفل الصغير
لقد صمّ السميع فلم يعول على نبإ كما عميَ البصير

وحين سقط ملوك الطوائف تشفى فيهم الشعراء ، وتعالت أصواتهم معبرة عن أحاسيس الشماتة إزاء أولئك الملوك الذين طالما استمرأوا الفساد ، وروحوا عن أنفسهم بالقصف واللهو والغناء عن الجهاد ، ولم يبالوا فيما ينتظرهم من مفجعة أليمة ، ويعبر أبو الحسين بن الجد(64) عن هذه الحياة اللاهية ، مصورا ملوك الطوائف تصويرا مزريا، فيقول(65):

في كل يوم غريبٌ فيه مُعتبر نلقاه أو يتلقَّانا به خبرُ
أرى الملوك أصابتهم بأندلس دروائر السوء لا تُبقي ولا تذر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قدرٌ هوى بأنجمهم خسْفًا وما شعروا

وكيف يشعر من في كفه قدح يحدو به مُلهياه الناي والوتر
صمَّت مسامعه من غير نغْمته فما تمر به الآيات والسور
تلقاه كالفحل معبودا بمجلسه له خوار ولكن حشوه خور
من حوله كلُّ مغترٍّ وما علموا أنَّ الذي زخرفتْ دنياهم غرَر

يمكن أن نعتبر هذا النوع من الهجاء والانتقاد أرقى وأعمق ، لأنه يتصل بصميم السلوك السياسي للخلفاء ، في عهد الفتنة ، وما يتعرضون له من عزل وموت ، كما هو شأن الخليفة هشام المؤيد ، وعزل وقتل للخلفاء الآخرين ، وكذلك ملوك الطوائف ، الذين أثبتوا ضعفهم وخضوعهم للنصارى بدفع الجزية أو التنازل على الحصون أو التآمر ضد بعضهم البعض ، فكانت هذه المواقف المزرية محل هجاء الشعراء لهم وتعريتهم وأصبحوا محل سخرية من الأمة الإسلامية في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، إلى أن هوى سلطانهم في يد المرابطين ، ونالهم التشفي كما تقدم .

هجاء الوزراء:

إذا كان منصب الخلافة ، وهو أعلى منصب في الدولة ، بلغ هذه الدرجة من الذل والمهانة ، فليس غريبا أن تصبح بقية المناصب العليا في الدولة مناصب جوفاء ، فالوزارة مثلا أصبحت منصبا شكليا ، وحضور الوزير أو غيابه لايغير من الأمر شيئا قال حسان بن مالك ابن أبي عبدة الوزير (66) يخاطب الخليفة المستظهر (67) :

إذا غبتُ لم أحضرْ وإن جئتُ لم أُسل فسيان مني مشهدٌ ومغيب
فأصبحتُ تيميًّا وما كنت قبلها لِتَيْمٍ ولكن الشبيه نسيب

وهذه المناصب أصبحت اسما بدون مسمى فهي ((زخرف من التسطير وضع على غير حاصل ، ومراتب وضعت على غير طائل ، تنافسها طالبوها يومئذ بالأمل لم يحلوا منها بطائل ولا قبضوا منها مرتبا ولانالوا بها مرتفقا)) (68) .

وبهذا أصبح منصب الوزارة كمنصب الخلافة وملوك الطوائف محل هجاء الشعراء فقد قال أبو الربيع (69) في حكم بن سعيد الحائك وزيرهشام المعتد الأموي (70) :

هبْك كما تدعي وزيرا وزير من أنت ياوزير ؟
والله ما للأمير معنى فكيف من وزَّر الأميرُ

غير أن أغلب هذا الهجاء ، كان يخفي وراءه بواعث ذاتية ، إذ كان منصب الوزارة مطمحا للكثيرين ، فكان هجاء الوزراء في معظمه ناجما عن حقد وضغينة للمكانة التي يتبوأها هذا أو ذاك)) (71) ، كابن شهيد له بعض القصائد(72) في هجاء الوزراء ، صدر فيها عن دوافع ذاتية ، لاداعي لذكرها ، ما دمنا نحن بصدد هجاء صدر فيه أصحابه عن دوافع سياسية ، كما هو الشأن في هجاء الوزراء اليهود ، في عهد ملوك الطوائف ، بعد تسلطهم في غرناطة وتمكنهم من منصب الوزارة ، وهو منصب يمكن

صاحبه في ذلك الوقت من السيطرة المطلقة في الدولة ، وسبب ذلك يكمن في أن ملوك غرناطة ((لم يلتمسوا العون لدعم حكومتهم عند بربر قبيلتهم ، ولا من العرب أو الأندلسيين لعدم الثقة فيهم ، ولما يضمروه لهم هؤلاء من البغض)) (73) .

ولم يمض غير يسير من الوقت حتى أصبح اليهود في غرناطة ، يشكلون قوة إقتصادية وسياسية ، فأثار ذلك غضب بعض العناصر المسلمة من بربر وغيرهم .

وقد أخذ غير شاعر يستثير العامة للثورة على اليهود ، وزعميهم يوسف بن النغريلة(74) ، ومنهم السميسر وأبو الحسين بن الجد ، القائل في سخط وغضب (75) :

تحكمت اليهود على الفروج وتاهت بالبغال وبالسروج
وقامت دولة الأنذال فينا وصار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمتَ على الخروج

فالشاعر يشكو وبمرارة من تحكم اليهود الأنذال وما يتمتعون به من مظاهر البذخ والترف كالخيول المطهمة ، ونحو ذلك مما حرم منه المسلمون ، ويأسى لهذه الدولة التي يحكمها هؤلاء العلوج ، ويرى أن ذلك من أكبر علامات الساعة ولذلك يدعو المسيح الدجال إلى الخروج لأن هذا زمانه .

وقد عبر أبو إسحاق الإلبيري (76) عما كان يختلج في نفوس هؤلاء من يوسف بن النغرلة واليهود ، بقصيدة كان لها صداها قي مختلف أوساط الغرناطيين ، فيقول (77) :

أَلا قل لصنهاجة أجمعين بُدورِ الندى وأُسْد العرين
لقد زلّ سيدكم زلة تقِرُّ بها أعين الشامتين
تخيَّر كاتبه كافرا ولو شاء كان من المسلمين

فعزّ اليهود به وانتخوا   وتاهوا وكانوا من الأرذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى   فحان الهلاك وما يشعرون
فكم مسلم فاضل قانت   لأرذلِ قرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم   ولكن منا يقوم المعين
فهلاَّ اقتدى فيهمُ بالأُلى   من القادة الخِيْرة المتقين
وأنزلهم حيث يستاهلون   وردهم أسفل السافلين
أباديس أنت امرؤٌ حاذق   تصيب بظنك نفس اليقين
فكيف اختفت عنك أعيانهم   وفي الأرض تُضرَب منها القرون
وكيف تحب فراخ الزنا   وهم بغَّضوك إلى العالمين
وكيف يتم لك المرتقى   إذا كنتَ تبني وهم يهْدمون
وكيف استنمتَ إلى فاسق   وقارنته وهو بِئْس القرين
وقد أنزل الله في وحيه   يحذِّر عن صحبة الفاسقين
فلا تتخذ منهم خادما   وذَرهم إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجَّت الأرض من فِسقهم   وكادت تَمَيْد بنا أجمعين
تأمَّل بعيْنيْك أقطارها   تجِدهم بها كلابا خاسئين
وإني احتللتُ بغرناطة   فكنتُ أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالَها   فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها   وهم يخضِمون وهم يقبِضون
وهم يلبَسون رفيع الكسا   وأنتم لأوضعها لابسون
وهم أمناؤكم على سركم   وكيف يكون خَؤون أمين ؟
ويأكل غيرهم درهما   فيُقصى ، ويُدنَون إذ يأكلون
وهم يذبَحون بأسواقها   وأنتم لأطرافها آكلون
ورخَّم قردُهم داره   وأجْرى إليها نَميْر العيون
فصارت حوائجنا عنده   ونحن على بابه قائمون
ويضحك منا ومن ديننا   فإنا إلى ربنا راجعون
ولو قلتَ في ماله إنه   كمالك كنتَ من الصادقين

فبادر إلى ذبحه قربة وضحِّ به فهو كبش سمين
ولاترفع الضَّغط عن رَهْطه فقد كنَزوا كل عِلْق ثمين
وفرِّق عِداهم وخذ مالهم فأنت أحق بما يجمعون
ولاتحسبنْ قتلهم غَدرةً بل الغدرِ في تركهم يعبثون
وقد نكثوا عهدنا عندهم فكيف تُلام على الناكثين
وكيف تكون لهم ذمة ونحن خُمول وهم ظاهرون
وراقِب إلهك في حِزبه فحزب الإله هم الغالبون

لم يجرأ الشاعر على هجاء باديس بن حبوس وتوجيه النقد إليه مباشرة ، آثر توجيه قصيدته هذه إلى عامة الغرناطيين يستثيرهم ويستفزهم ، ويصف لهم ما آل إليه حال البلاد والعباد في ظل هذا الملك البربري ، ((هل يستطيع هؤلاء البربر أن يفهموا الشعر العربي ؟ ربما كان محتملا أنهم لايستطيعون التقاط معاني كل الكلمات تفصيلا ، لكنهم على الأقل يفهمون الفكرة العامة التي يريد أن يعبر عنها الشاعر)) (78) ، فقد لجأ الشاعر إلى اختيار العبارات السهلة والمعاني العامة التي يفهمها أي مسلم حفظ القرآن أو درسه ، كما اختار أبياتا قصيرة ذات إيقاع سهل ، وحتى المعاني التي عبر عنها بسيطة وواضحة لاغموض فيها ، واختار لها الألفاظ الصلبة القاسية التي يمكن أن تقع في أذهان الغرناطيين فيدركونها في يسر وسهولة ، ومع ذلك فإن القصيدة لاتخلو من بعض الصور والمعاني الدقيقة .

فالشاعر يوجه النصيحة إلى الصنهاجيين وهي نصيحة مشفق عليهم محب لهم ، يرى النصيحة قربى لله ودينا يدين به ، فينبههم إلى خطأ الملك باديس في اختيار وزير يهودي ، من غير المسلمين ، مما جعل اليهود يتطاولون عليهم ويعتزون بعدما كانوا أذلة ، وحققوا كل أمانيهم في الظفر بالجاه والمال والسلطان ، فكم من مسلم ذل أمام قرد من هؤلاء القردة اليهود .

لقد كان الأجدر بباديس أن يقتدي بالأولين في إعزاز المسلمين ، وإنزال هؤلاء اليهود منازلهم التي يستحقونها والتي كانوا فيها أذلة صاغرين تطوف بنا أفواجهم في ذلة وصغار ، ولكنه جعلهم يستخفون بأعلامنا ويستصغرون شأننا ويستهزئون بديننا .

ثم توجه الشاعر إلى الأمير باديس يلومه ويعاتبه وينبهه إلى هؤلاء اليهود الذين قربهم ، ومكن لهم من شؤون المسلمين .

ويعجب من أمر هذا الملك ، وهو الحاذق الذكي اللبق إذ ركن إلى هؤلاء اليهود وأحبهم ، وهم فراخ الزنا واستنام إلى زعيمهم الفاسق وركن إليه ووثق به مع أن الله سبحانه وتعالى حذر من صحبة الفاسقين واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، ثم يطالب بنبذهم ، فقد ضجت الأرض من رجسهم وكادت تميْت من شرهم ، ثم يعجب من إيثاره لهم ، وتقريبه لهم ، وهم المبعدون في الأرض والمنبذون من الخلق .

لقد اقتسموا غرناطة واستأثروا بخيراتها وجباياتها وحكمها ، ويلبسون أفخر الثياب بينما المسلمون يرتدون أحقره وأوضعه ، وهم الأمناء على أسراركم مع أنهم خائنون لا يؤمنون على سر .

ومن العجيب لا يسألون عما ينهبون ، ولا يحاسبون على ما يلبسون بينما يقصى من غيرهم من يجمع درهما ، وهم يذبحون ويستأثرون بأشهى المطاعم ، بينما المسلمون لايحصلون على أدناه ، وهذا وزيرهم اليهودي يعيش عيشة مترفة في قصر فاخر محلى بالرخام مزين بالنقوش ، والمسلمون يتسولون على بابه ويلتمسون في ذلة حوائجهم عنده ، وهو يسخر من ديننا فإلى الله المشتكى منه ، وأما ثروته فإن عادلتها بثروتك ياملك لكانت مثلها.

ثم يطلب من الملك باديس المبادرة بذبح هذا الوزير فإنه كبش سمين يصلح للتضحية ، كما يطلب إليه أن يأخذ بالشدة قومه من اليهود ، وأن يمزق شملهم ويصادر أموالهم ، فإن المسلمين أحق بها. ويبرر للملك هذا الإنتقام ، حيث أنه ليس نكثا ولا غدرا بميثاق ، فإنه لا عهد لهم ، ولاميثاق ، فكم نكثوا من عهد ونقضوا من ميثاق ، إن الغدر في تركهم يعيثون ويعبثون .

كيف تكون لنا همة وينهض لنا كيان ، ويكون لنا شأن وهم الظاهرون ونحن الخاملون المتقاعسون ؟

ثم يحمل الملك باديس مسؤولية تركهم على هذا الحال وعدم أخذهم بالشدة ، ويذكره بأن الله رقيب عليه يحاسبه على ما إئتمنه عليه من تولي شؤون المسلمين .

وقد كانت هذه القصيدة السياسية سببا في شهرة الشاعر عند الأوربيين ، وذلك لدورها الخطير الذي لعبته في إثارة مسلمي غرناطة ضد اليهود ، يقول غومس : ((والحق أن القصيدة تستحق ما حظيت به من شهرة ، ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتا من

الشعر لعبت دورا سياسيا مباشرا في التاريخ السياسي لأمة من الأمم ، فكهربت العزائم ، ودفعت بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق ، وشحذت السيوف للقتل ، كالدور الذي لعبته هذه القصيدة)) (79) ، ويضيف قائلا : ((الشعر الأندلسي لم يعرف أبدا البساطة عارية كما عرفها في هذه القصيدة ، وفي الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها ، يلفها مثل هذا الإعصار من المشاعر لقد اجتاحت أنغامها ، حية متوهجة ، أعماق المدينة ، مع زفير النيران وحشرجة الموتى)) (80) .

وهكذا عبر أبو إسحاق الإلبيري في هذه القصيدة المناهضة لليهود عما كان يجيش في نفوس أوساط المحتمع الغرناطي ، فهبت العامة على ابن النغريلة ، وقتلوه في القصر ، رغم تنكره بأن صبغ وجهه بالسواد ، وأخذوه وصلبوه على باب غرناطة ، وأحالوا السيف على يهود البلدة ، وحصلوا على عظائم من أموالهم ، وقتل من اليهود ما نيف على أربعة آلاف (81) في تلك المذبحة التي يصفها ابن بسام ((ملحمة من ملاحم بني إسرئيل باءوا بدلها ، وطال عهدهم بمثلها)) (82) .

ويرد كامل الكيلاني قدرة تأثير الشاعر في المجتمع الغرناطي إلى معرفته كيف يوالي في قصيدته ((اطراد الأدلة واتساقها وتدفق المعاني وغزارتها مع دقة عجيبة في التعبير عن أغراضه وخوالجه بكلام فخم يتطاير حماسة ويتأجج نارا ، وشعر صارخ . وبهذا استطاع أن يوهم سامعيها أن قتل أولئك اليهود فرض لامناص من أدائه .. وكذلك لم يترك وسيلة من الوسائل إلتي تستفز أخفى العواطف الدينية الكامنة إلا استخدمها ولا نغمة من نغمات التعصب للعقيدة إلا ضرب على وتيرتها)) (83) .

وأما فوزي سعد عيسى فإنه ، يقول : ((ولم يتكلف الإلبيري ، ولم يغرب في صوره ومعانيه وألفاظه ، بل اختار هذا الأسلوب السهل المباشر الذي يقترب من أسلوب النثر إلى حد بعيد ، لأنه أدرك بحاسته الفنية الدقيقة أن حظ أولئك البربر من الثقافة العربية ضئيل ، وأن نصيبهم من تذوق الشعر والوقوف على أسراره محدود)) (84) .

لقد كان لهذه القصيدة صدى كبيرا عند كثير من الشعراء ، إلى جانب ذلك الأثر السياسي الذي رأيناه ، فقد أخذ كثير من الشعراء يعتمدون هذا الأسلوب ، ويحملون على اليهود حملة شرسة ، ويندددون بمن مكن لهم من هذا السلطان والنفوذ ، وكذلك منصب الوزير ، في أي مملكة كان ، فهو محل هجاء ونقد سواء أكان في تطرفه في نفوذه أم في إهماله من دوره كوزير .

هجاء العمال (الولاة) :

لم يكتف الشعراء بهجاء الخلفاء وملوك الطوائف وانتقاد تصرفاتهم وفضح أساليبهم، والتجريح بهم إلى حد الفحش أحيانا ، ولم نورد مثل هذا الهجاء الفاحش والمقذع لأن الذوق ينأى عن إثباته كشعر السميسر (85) ، ولم يسلم أحد ممن شغل مناصب رسمية من ألسنتهم كالوزراء ، فقد نال بعضهم شيئا من الإنتقاد لسبب أو لآخر . كما تقدم . كذلك طائفة أخرى من رجال السياسة ، وهم عمال الكور، نالوا نصيبهم من الهجاء لأنهم يمثلون السلطة بشكل أو بآخر، ولأنهم ينفذون سياسة الحاكم أيا كان لونها ، وكان عليهم أن يديروا أعمالهم على أسس من العدالة والنزاهة ، ولكن كثيرا منهم انحرف عن مهمته الموكلة إليه ، فانتهجوا أساليب القسوة والغلظة في معاملة الرعية ، ولم يتورعوا عن ارتكاب الجرائم والموبقات، وانصرفوا إلى الإثراء الفاحش بالطرق غير المشروعة ، فتصدى الشعراء لهؤلاء لفضح أساليبهم ، وكشف عن فسادهم ، ومن ذلك قول حبلاص الرندي (86) في هجاء أحد الولاة : (87)

لا تفرحنْ بولاية سُوِّغتها فالثور يُعلَف أشهرا كي يُذبحا

وهذا الأصيلى أبو عامر محمد (88) له غير مقطوعة شعرية في هجاء عمال بني ذي النون ورؤساء حصونه ، يقول (89) :

قل لابن ذي النون الرئيس الذي ليس له شيء من البخت
يا مالكا يجعل قواده قوما غدوا عليه باللفت
جاءوا إلى الشرق جياعا فما يشبعهم شيء من السحب
من كل حراث له لحية تدهن بالشحم وبالزيت
إن صار في حصن رأى أنه قد أدخل العالم في تخت
يحسد فرعون على قوله ((وهذه الأنهار من تحتي))
ما هذه الأشباح تبا لها قد ملئت بالسفه البحت
هيهات لاحر ولا حرة في باب إقليش إلى البنت

أما المقطوعات الأخرى في هجاء رؤساء جزيرة شقر وهجاء رئيس حصن بلنسبة (90) ، ومثل هذا الهجاء الذي فيه كثير من الإقذاع، قد يكون منطلقه ذاتيا وله علاقة بالحاجة المادية .

لقد كان الهجاء السياسي الذي وصل فيه الشعراء إلى درجة الإنتقاد العنيف والهجاء المقذع للحلفاء والحكام ، زمن الفتنة وعهد الطوائف ، كان سببا في مواجهة هؤلاء الشعراء وملاحقتهم وترصدهم للإيقاع بهم الأذى من قتل ونفي وسجن .

وأما لغة الهجاء فإنها تتميز بالميل إلى البساطة والشعبية والاقتراب من لغة العامة المستخدمة في حياتهم اليومية ، وتقترب من النثرية وذلك ليضمن لها الشعراء الذيوع والانتشار على ألسنة العامة ، فاستخدموا السباب المتداولة لديها ، وأكثروا من ذلك ، والنماذج المقدمة تؤكد خاصية هذا التميز .

إحلات وترجم وتعليقات:

1- انظر توضيح ذلك : ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . تحقيق محمود شاكر . دار المعارف . مصر . ص 378-379 . قدامة بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق مصطفى كمال مطبعة الخانجي . القاهرة . ص 35 ، ونقد النثر دار الكتب العلمية . بيروت . 1982 . ص 18 . المرزباني . الموشح . تحقيق علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر . 1965 . ص 197-198 . ابن رشيق . العمدة . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار الجيل . بيروت . 1981 . ص 170-172.

2 – حسين ، محمد محمد . الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية . المطبعة النموذجية مصر . ط1 . 1974 . ص 12 .

3 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي دار المعارف . مصر . ص 24 نقلا عن ابن الحزم . رسائل ابن حزم (رسالة مراتب العلوم) . 65-67 .

4 ، 5 – ابن بسام . الذخيرة . تحقيق إحسان عباس . الدار العربية للكتاب . ليبيا . تونس . ط1 . 1979 . ق1 ج1 ص 544 ، 546 .

6 – انظر : المراكشي ، عبد الواحد . المعجب تحقيق محمد سعيد العريان . القاهرة . 1960 . ص 373-374.

7- المقري . نفح الطيب تحقيق إحسان عباس . دار صادر . بيروت 1968 . ج4 ص 205 ، 206 .

8-انظر : المراكشي . المعجب .370-374.

9 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 37 .

10 – هيكل ، أحمد . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف . مصر . ص 280 .

11 – هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر . ولد بقرطبة سنة 366 هـ . بويع بالخلافة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، بعد خلع الخليفة هشام ، ولقب نفسه بالمهدي ، ولقبته العامة المنقّش لهشاشته وطيشه وخفته . ولي الخلافة مرتين ، وكانت مدة خلافته فيهما عشرة أشهر وتسعة عشر يوما ، لقي حتفه على يدي الخليفة هشام . انظر: ابن حزم . رسائله . تحقيق إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ط1 . 1980 ج2 ص 196-197 , الحميدي ، أبو عبد الله . جذوة المقتبس . الدر المصرية للتاليف والترجمة . 1966 . ص 18-19. الضبي ، أحمد

بن يحي . بغية الملتمس . دار الكتاب العربي . القاهرة . 1967 . ص 22–23 , ابن بسام . الذخيرة . 1/1 :45،44–46 , ابن عذارى . البيان المغرب تحقيق ح، س ن كولان ن ليفي بروفنسال . دار الثقافة . بيروت ط4 . 1983 . ج3 ص50 . المراكشي . المعجب . 88–89 , ابن الخطيب . أعمال الأعلام . تحقيق ليفي بروفنسال . دار المكشوف . بيروت ط2 . 1956 . ص 109، 115–116 , المقري. نفح الطيب . 1:426 , ابن خلدون . التاريخ . تحقيق عبد الكريم وحسن الزين دار الكتاب اللبناني . بيروت . 1968 . ق4 ج1 ص 323–327 .

12 ، 13 ، 14 – ابن عذارى . المصدر نفسه . 3: 80 .

15 – انظر تفاصيل ذلك : الأمير عبد الله . كتاب التبيان . تحقيق ليفي بروفنسال . دار المعارف . مصر . 1955 . ص 69 – 70 ، ابن عذارى . المصدر نفسه .3: 310 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 43، 55 ، 69 ، ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 863 ، 1/2: 249 ، 385 ، 1/3: 17 ، 112 ، 1/4: 128 ، المقري . نفح الطيب . 1: 534 ، 3: 614 – 615، 4: 94 – 96 ، 170 ، 286 .

16 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 47 .

17 – هو أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي أنظر : الفتح ابن خاقان . قلائد العقيان . تقديم ووضع الفهارس محمد العتاني . دار الكتب الوطنية . تونس . 1966 ص 158 ، المقري . نفح الطيب . 4: 226 ، ابن دحية . المطرب تحقيق إبراهيم الأبياري المطبعة الأميرية . القاهرة . ص 177 .

18 – المقري . المصدر نفسه . 4: 226 .

19 – هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرىء الضرير الحصري القيرواني الشاعر ، خرج من القيروان بعد خرابه في منتصف المئة الخامسة للهجرة ، وأقرأ الناس بسبتة ، وله ديوان شعر . انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس . 296 ، ابن بشكوال . الصلة . الدار المصرية للتأليف والترجمة . 1966 ص 432 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . 1968 . ج 3 ص 331 – 334 .

20 – ابن خلكان . المصدر نفسه . 3: 333 .

21 – ابن شرف القيرواني . الديوان . تحقيق حسن زكري حسن . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . ص 68 – 69 .ابن بسام . المصدر نفسه . 1/4: 182 .

22– هو أبو عمر عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وتسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد . ولد سنة 407هـ،وتقلد الحكم بعد وفاة أبيه سنة 433 هـ ، ودام حكمه فيه مدة ثمانية وعشرين عاما إلى وفاته سنة 461هـ . و قد خلف من صنوف السريريات خاصة نحوا من سبعين جارية ، عدا حلائله بمن فيهن حرته الحظية لديه ، الفذة من حلائله ، بنت مجاهد العامري صاحب دانية . وكان له من الولد نحو من أربعين بين الذكور والإناث . انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس . 296, ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 23 , ابن حزم . رسائله . 2: 46 , ابن الأبار . الحلة السيراء . تحقيق حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة والنشر . ط1 . 1963 . ج 2 ص 39 , ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 204 , المراكشي . المعجب .151, ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 155 , المقري . نفح الطيب . 4: 242 .

23 – ابن زيدون . الديوان . تحقيق كرم البستاني . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . 1979 . ص 286 .

24 – هو محمد بن عباد بن إسماعيل بن عباد ، ويكنى أبا القاسم ويلقب بالمعتمد على الله ، والظافر بالله . ولد بمدينة باجة سنة 431 هـ ، وشب الأمير وترعرع بين السيف والقلم إلى أن أصبح واليا لشلب . ثم خلف أباه بعد وفاته سنة461 هـ . وسار على نهجه إلى أن أسر من قبل يوسف بن تاشفين سنة 484 هـ ، وبعد أربع سنوات مات في السجن بأغمات قرب مراكش في جنوب المغرب الأقصى . وللمعتمد ديوان شعري تتوزع مقطوعاته الشعرية بين حياة الأمير فالملك إلى الأسير . حققه أحمد حامد بدوي وحامد عبد الحميد . القاهرة . 1951 . كما حققه رضا الحبيب السويسي . تونس . 1971 , انظر ترجمته : ابن بسام . المصدر نفسه . 1/2: 41 . الفتح بن خاقان . قلائد العقيان . 4, ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 52 . المراكشي . المصدر نفسه . 158 , ابن خلكان . وفيات الأعيان . 5: 25 , ابن خلدون . التاريخ . 7/4: 344 . ابن العماد ، أبو الفرج الحنبلي . شذرات الذهب . تحقيق لجنة إحياء التراث العربي . دار الأفاق الجديدة . بيروت . ج3 ص 386 , ابن الخطيب . المصدر نفسه. 157 ، دوزي . المسلمون في الأندلس . ترجمة حسن حبشي الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ج3 ص 89 .

25 – السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . مطبعة النعمان . العراق . ط1 . 1972 . ص 199 .

26 – هو أبو علي بن الحسن بن رشيق , ولد بالمحمدية أو لمسيلة في سنة 390 هـ وانتقل إلى القيروان سنة 406 هـ ، وتتلمذ هناك لأكابر العلماء في الفقه والأدب والبلاغة ، ثم رحل إلى المهدية ثم إلى صقلية وبها توفي سنة 463 هـ . لابن رشيق ديوان شعري حققه عبد الرحمن ياغي . بيروت ، والعمدة . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/4: 597 ، ابن العماد الإصفهاني. الخريدة ، قسم شعراء المغرب والأندلس . تحقيق آذرتاش وآذرنوش ، ونقحه وزاد عليه محمد المرزوقي وآخرون . الدار التونسية للنشر . تونس . 1972 . ج 2 ص 230 ، ياقوت الحموي , معجم البلدان . دار صادر . بيروت . 1955 . ج 8 ص 110، المقري . نفح الطيب . 1: 413 .

27 – المقري . المصدر نفسه . 1: 213 ، 4: 255 ، ابن الخطيب . اعمال الأعلام . 144 . وهذا الأخير ذكر الأبيات دون نسبتها لشاعر ، ابن بسام . المصدر نفسه . 1/4: 172 ، وهو يذكر الشطر الأول من البيت الأول : مما يبغضني....

28 – هو ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار بن الحسين بن عمار المهري الأندلسي الشاعر المشهور . ولد في قرية شنتبوس قرب شلب ، وهو من أسرة فقيرة ، فكان ينتجع بشعره ، ويطوف على ملوك الطوائف ، وتعلق في أول أمره بالمعتمد ابن عباد في شلب ، ثم صحبه إلى إشبيلية ، وترقى إلى الوزارة ، وأصبح من ألمع شخصيات عصره السياسية ، ولكن بعد فتح مرسية ، سولت لابن عمار نفسه للاستقلال بها ، وينفرد بالحكم فيها . ولم يطل به المقام فيها حتى أسر وسجن وقتل من قبل المعتمد بن عباد بيده سنة 477هـ . انظر ترجمته : الضبي . البغية . 113 ، الفتح بن خاقان . قلائد العقيان . 94 ، ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 368 ، ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 131 ، ابن سعيد . المغرب . تحقيق شوقي ضيف . دار المعارف . مصر . ط3 . 1978 . ج 1 ص 389 ، رايات المبرزين لنفس المؤلف . تحقيق النعمان عبدالمتعالي . لجنة إحياء التراث الإسلامي . القاهرة . 1973 . ص 25 ، المراكشي . المعجب . 169 ، ابن دحية . المطرب . 169 ، ابن

خلكان . وفيات الأعيان . 4: 425 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 160 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 71، المقري . نفح الطيب . 1: 625 ، وللدكتور صلاح خالص مؤلف جمع فيه شعره . بغداد . 1957 ، وحقق شعره مصطفى لغديري شعره منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية . وجدة . المغرب 2001 .

29 – السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 199

30 – ابن بسام . الذخيرة . 1/2: 414 .

31 – ابن عمار الأندلسي . شعره . 88 – 89 .

32 – السعيد ، محمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 199 .

33 – هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر ، وكان لقبه المنصور . كان مقيما بسرقسطة ثم خرج إلى بلنسية فاستقبله الموالي ، وقلدوه رياستهم سنة 417 هـ ، ولبى طلب أهل المرية في حكمها بعد هزيمة وقتل زهير العامري سنة 429 هـ ، وولى عليها صهره ووزيره مَعن بن صمادح واليا له،لكن هذا الأخير انفرد بها لنفسه ولأبنائه . طالت إمارة عبد العزيز هذا إلى سنة 452 هـ . توفي فيها بعد حكم دام زهاء أربعين عاما . انظر ترجمته : ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 164، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 195 ، ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 730، ابن خلدون . التاريخ . 7/4: 348 ، سالم، السيد عبد العزيز . تاريخ المرية الإسلامية . دار النهضة المصرية . بيروت . ط1 . 1969 . ص 73.

34 – السعيد ، مجمد مجيد . الشعر في ظل بني عباد . 200 .

35 – ورد في هذا العتاب بيتين من الشعر للمعتمد وجواب ابن عمار عنه . ابن عمار الأندلسي . شعره . 35 – 36.

36 – ابن عمار الأندلسي . المصدر نفسه . 74.

37 – المعتمد . الديوان . 142 .

38 – شنبوس : قرية بمدينة شلب كانت مقرا لسلف ابن عمار . ابن الأبار . الحلة السيراء . 2: 157

39 – شمس : اسم لأم ابن عمار .ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 157 .

40 – ابن الأبار . المصدر نفسه . 2: 157 .

41 – العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 71 .

42 – انظر : ابن سعيد . المغرب .2: 22 .

43 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندليب ، عصر الطوئف والمربطين . دار الثقافة . بيروت . ط5 . 1978 . ص 34 .

44 – هو محمد بن معن بن صمادح ، المعتصم بالله ، وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنة . كان المعتصم بالله حسن السيرة في رعيته وجنده وقرابته ، فانتظمت أيامه واتصلت دولته واستقامت أموره . وكان المعتصم حصيف العقل ، طاهرا ، معنيا بالدين وإقامة الشرع ، بقصره يعقد المجالس للمذاكرة . مات بمرض أصيب به سنة 484 هـ . وهذه السنة زامنت سقوط المرية في يد المرابطين . انظر تفاصيل ذلك : ابن الأبار . الحلة السيراء 0 2: 78 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 166،173 ، ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 729 ، ابن خاقان . قلائد العقيان . 53 ، ابن سعيد .

المغرب . 2: 195 ، ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 189 ، المراكشي . المعجب . 196 ، ابن خلدون . التاريخ . 7/4: 430 ، ابن خلكان . وفيات الأعيان . 5: 39 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 83 ، ابن دحية . المطرب . 34 ، المقري . نفح الطيب . 3: 366،395،411 ، وصفحات متفرقة من الكتاب، سالم،السيد عبد العزيز . تاريخ مدينة المرية . 74 .

45 – ابن عمار الأندلسي . شعره . تحقيق صلاح خالص . 81 .

46 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 52 .

47 – ابن سعيد . المغرب . 1: 332 .

48 – ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 110 .

49 – هو خلف بن فرج الإلبيري السميسر ، من أعلام الشعراء في عهد ملوك الطوائف ، واشتهر بالهجاء . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 882 ، ابن سعيد . المصدر نفسه . 2: 100 ، ابن دحية . المطرب 93 ، المقري . نفخ الطيب . 3: 412227 ، 291 .

50 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 882 – 883 .

51 – المقري . نفح الطيب . 4: 108 .

52 – عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين . 141 .

53 – ابن بسام . الذخيرة .2/1: 885 .

54 – المقري . نفح الطيب . 4: 108 .

55 ، 56 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 885 ، 886 .

57 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 58 .

58 – هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن ، ويرتفع نسبه إلى مناد . قلده شيوخ القبيلة الإمارة وهو صغير ، ولقبوه المظفر بالله الناصر لدين الله . وانفرد بتدبير ملكه وزيره سماجة في صغر سنه ، ولكن فيما بعد استقل بالحكم ، ورحل عنه وزيره إلى المرية . قاد الأمير عبد الله البلاد إلى أن خلعه يوسف بن تاشفين ، وآلت غرناطة للمرابطين سنة 483 هـ . أخذ الأمير عبدالله إلى أغمات ، وفيها عكف على كتابة مذكراته التي تضمنت معلومات تاريخية هامة عن عصر ملوك الطوائف بصفة عامة . وقد اطلع عليها ابن الخطيب وأشار إلى أهميتها . هذه المذكرات نشرها ليفي بروفنسال في كتاب مستقل تحت عنوان : مذكرات الأمير عبد الله بن زيري أخر ملوك غرناطة ، أو كتاب التبيان . القاهرة . 1955 . انظر ترجمته : ابن الخطيب . الإحاطة . 1: 148 ، وأعمال الأعلام لنفس المؤلف . 233 ، مؤلف مجهول . مفاخر البربر . تحقيق ليفي بروفنسال . الرباط . 1934 . ص 51 ، بول ، لين . قصة العرب في إسبانيا . ترجمة علي الجارم . دار المعارف . مصر . ص 160 .

59 – المقري . نفح الطيب . 3: 412 .

60 – المقري . المصدر نفسه . 3: 412 – 413 .

61 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 59 .

62 – مكي ، الطاهر أحمد . دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة . دار المعارف . مصر . ط1 . 1980 . ص 74 .

63 – المقري . نفح الطيب . 4: 485 .

64 – هو أبو الحسين يوسف بن محمد بن الجد انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/2: 556 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 340 .

65 – ابن الخطيب . أعمال الأعلام . 242 .

66 – هو حسان بن مالك بن أبي عبدة ، وزير من العلماء باللغة والأدب في الأندلس ، توفي سنة 316 هـ . انظر ابن شهيد . ديوان تحقيق يعقوب زكي . 44 .

67 – المقري . نفح الطيب . 7: 436 .

68– ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 137 .

69 – لم نعثر على ترجمة له .

70 – ابن عذارى . البيان المغرب .3: 147 .

71 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 122 .

72 – ابن شهيد . ديوان .تحقيق يعقوب زكي . 8 ، 138 ، 164.

73 – غرسية ، إميليو غومس . مع شعراء الأندلس والمتنبي . ترجمة الطاهر أحمد مكي . دار المعارف . مصر . ط3 . 1983 . ص 83 .

74 – هو يوسف بن إسماعيل بن النغريلة ، و يكنى أبا الحسن . مكن له أبوه إسماعيل في دولة بني زيري : حبوس ثم باديس . وكان فيه دهاء وذكاء . وقد خلت الأجواء لابن النغريلة بعد وفاة أبى العباس كاتب حبوس . وكانت الجباية التي يقدمها المتصرفون اليهود تسكت باديس وتسره . غير أن الخاصة والعامة من الغرناطيين استاؤوا من تسلط ابن النغريلة والجباة من جماعته . واستأثر هؤلاء القوم بخيرات البلاد ، فأنكروا عليهم ذلك ، وحرضوا باديس وقومه مرارا ، فكان بلقين بن باديس ينظر إلى ذلك بعين السخط ، ويرغب في إزالته وقتله ، لكن ابن النغريلة تفطن لذلك ودعاه لمجلس شراب ودس له السم في كأسه ، ومات من أثره ، واتهم غيره من المشكوك فيهم سنة 456 هـ . ثم أن ابن النغريلة خاف على نفسه ، فراسل ابن صمادح صاحب المرية للاستيلاء على غرناطة ، وتسليمه مقاليد الأمور فيها ، غير أن مؤامراته انكشفت ، لدى العامة ، بتحريض من قبل العلماء والمصلحين ، فهجمت على داره فأخرجته وقتلته ، وفتكت بقومه وجعلتهم بين قتيل وجريح سنة 459 هـ . انظر ترجمته : ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 264 ، الأمير عبد الله . كتاب التبيان . 30 – 34 ، 36 – 42 ، 51 ، النباهي ، أبو الحسن . المرقبة العليا . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . ص 92 ، ابن الخطيب . الإحاطة . تحقيق عبد الله عنان . القاهرة . ج 1 ص 439 ، ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 766 – 769 ، خليفة ، عبد الكريم. ابن حزم الأندلسي ، حياته وأدبه . دار العربية للطباعة والنشر . بيروت . ص 155 ، ابن سعيد . المغرب . 114:2 –115 ، دوزي . المسلمون في الأندلس . 3: 75 – 76 ، هنري بيريس . الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . ترجمة الطاهر أحمد مكي . دار المعارف . القاهرة . ط1 . 1988 . ص 244 ، أبو إسحاق الإلبيري . الديوان . تحقيق محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة . بيروت . ط1 . 1976 . ص 128.

75 – ابن بسام . المصدر نفسه . 2/2: 562 .

76 – هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري الغرناطي ، الزاهد ، ورد في التكملة ، أنه((كان من أهل العلم والعمل ، وكان شاعرا مجودا)). وقال الضبي فيه : إنه كان

((فقيها فضلا زاهدا عارفا)) . وقد نال الإلبيري أذى وعسف بسبب صراحته في التحريض على اليهودي الذي استوزره السلطان باديس وانقياد أهل غرناطة له . وبذلك أجلي الإلبيري عن غرناطة إلى أن توفي سنة 461 هـ . انظر ترجمته : ابن الأبار . التكملة . 1: 136 ، الضبي . البغية . 225 ، ابن سعي . المغرب . 2: 132 ، المقري . نفح الطيب . 4: 322 ، الإلبيري . الديوان . 7 ، غومس ، أميليو غرسية . الشعر الأندلسي . ترجمة حسين مؤنس . القاهرة . 1952 . ص 11 ، 86 ، بالنثا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي . ترجمة حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط1 . 1955 . ص 108 .

77 – أبو إسحاق الإلبيري . الديوان . 96 – 100 .

78 – بيرس ، هنري . الشعر الأندلسي في عصر الطوائف . 246 .

79 ، 80 – غومس ، إميليو عرسية . مع شعراء لأندلس والمتنبي . 97 .

81 – انظر تفاصيل ذلك : الأمير عبد الله . كتاب التبيان . 55 ، ابن عذارى . البيان المغرب . 3: 266 ، دوزي . المسلمون في الأندلس . 3: 76 ، بالنثيا ، آنخل . تاريخ الفكر الأندلسي . 108 .

82 – ابن بسام . الذخيرة . 2/1: 769 .

83 – الكيلاني ، كامل . مختارات في التاريخ والأدب . مطبعة المعاهد بالجمالية . القاهرة ط1 . 1929 . ص 244 .

84 – عيسى ، فوزي سعد . الهجاء في الأدب الأندلسي . 88 .

85 – السلفي . أخبار وتراجم أندلسية . 84 .

86 – حبلاص الرندي كان شاعرا برندة ، لما حل المرابطون بالأندلس مدح أحد رؤسائهم . انظر أخباره : المقري . نفح الطيب . 4: 133 ، ابن سعيد . المغرب . 1: 336 .

87 – المقري . المصدر نفسه . 4: 133 .

88 – هو أبو عامر محمد بن الأصيلي ، كان جوابة الآفاق ، ومن كبار فحول الشعراء والكتاب في القرن الخامس الهجري . انظر ترجمته : ابن بسام . الذخيرة . 2/3: 875 ، العماد الإصفهاني . الخريدة . 2: 308 ، ابن سعيد . المغرب . 2: 444 .

89 – العماد الإصفهاني . المصدر نفسه . 2: 309 .

90 – العماد إصفهاني . المصدر نفسه . 2: 309 – 310 .